ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

THE CRITERION OF CONTEXT AND ITS ROLE IN THE CONSISTENCY OF IMAM AL-RAZI DURING HIS WRITING MAWAFAAT AL-GHAYB: A GRAMMATICAL STUDY

Dr.Amal saleh Mahdi

Tikrit university
College of Education for Human Science
Department of Arabic Language

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث

***Keywords*:**
Arabic grammar
Context
Textual consistency
Unseen Keys
Imam Razi

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 25 Jan. 2021
Accepted 9 Feb 2021
Available online 20 Apr 2021
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

The issue of textual linguistics is one of the important issues that concern researchers in linguistics Text. this science aims to solve many issues related to text analysis.

Text linguistics has been able, especially in recent decades, to occupy a prominent place in the world of Linguistic studies. A wide horizons of linguistic scientific research in the field of text analysis is opened before it. The methods of linguistic analysis is developed and upgraded to be able to address grammatical relationships behind the sentence.

This approach is useful in analyzing and understanding texts, as it calls for an application of a comprehensive view of the text, looking at the different types of texts and their contents, the relationship of the text to the pillars of communication, text harmony and cohesion, linking with its various tools, types of structures, and relationships between sentences. All of them are matters that can only be interpreted through the unity of the full text.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.4.1.2021.06

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for

معيار السياق ودوره في الاتساق النصي عند الامام الرازي من خلال كتابه مفاتيح الغيب دراسة نحوية

أ.م.د. أمل صالح مهدي/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

إنَّ قضية اللسانيات النّصية تعدُّ من القضايا المهمة التي شغلت الباحثين في علم اللغة النصي، ويهدف هذا العلم إلى حل الكثير من القضايا المتعلقة بتحليل النص.

لقد تمكنت لسانيات النص خاصة في العقود الأخيرة، من تبوء مكانة مرموقة في عالم الدراسات اللغوية، فقد انفتحت أمامها آفاق واسعة من البحث العلمي اللغوي في مجال تحليل النّص ككل، حيث يجري تطوير

وسائل التحليل اللغوي، ورفع كفاءتها، لتكون قادرة على معالجة العلاقات النحوية فيما وراء الجملة.

ويحقق هذا المنهج فائدة عظيمة في تحليل النصوص وفهمها، ذلك أنه يدعو إلى تطبيق النظرة الكلية للنص، والنظر في أنواع النصوص ومضامينها المختلفة، وعلاقة النص بأركان التواصل وانسجام النص وتماسكه، والربط بأدواته المختلفة، وأنواع التراكيب، والعلاقات بين الجمل، وكلها أمور لا يتأتى تفسيرها إلا من خلال وحدة النص الكاملة[1].

وجاءت دراستنا تحت عنوان " معيار السياق ودوره في الاتساق النصي عند الامام الرازي من خلال كتابه مفاتيح الغيب" دراسة نحوية، في مبحثين يسبقهما تهيد عن الامام الرازي وكتابه "مفاتيح الغيب" ثم توطئة عن مفهوم السياق بين علماء العربية والمحدّثين، ثم المبحث الاول تحت عنوان: السياق النصي (المقالي) عند الإمام الرّازي وستناول هذا المبحث التعريب بالسياق النصي (المقالي) وأهميته في الاتساق النصي، ثم تناول مراعاة السياق النّصي (المقالي) في كتاب مفاتيح الغيب، ثم جاء المبحث الثاني بعنوان: السياق الحالي (المقامي) عند الإمام الرّازي، وتناول التعريف بالسياق الحالي وأهميته في الاتساق النصي، ثم تناول مراعاة السياق الحالي (المقامي) في كتاب مفاتيح الغيب، وانتهى البحث بخاتمة تتناول أهم ما وصل إليه البحث.

مقدمة

إنّ اللغة ظاهرة إنسانية تتعلق بحياة الفرد والجماعة، شهدت اهتماما متميزّا من قبل الباحثين والدّارسين، ويتجلى ذلك في العدد الهائل من المناهج المقترحة للدّراسة.

ومن هذا المنطلق نحاول من خلال هذه الدراسة الكشف عن مدى اهتمام المفسرين وإسهاماتهم في دراسة التماسك النصي، وخاصة ما سموه بالمناسبة بين الآيات والسور، حيث تداول المقولة المشهورة عندهم (إنّ القرآنَ يفسِّر بعضُه بعضًا)[2].

وجاء اختيار التّفسير الكبير للإمام الرّازي –رحمه الله– لهدفين مهمين:

الأول: أن هذا التّفسير واحدٌ من أهم التّفاسير المتداولة بين أهل العلم؛ فهو يعتمد على اللغة والنّحو في كثير من تخريجاته، جاء ذلك في صورة تطبيقات نحوية تُبرِز أثر اللغة والنّحو في توجيه معنى النّص وتفسيره.

والآخر: أن هذا التّفسير واحد من أهم التّفاسير المهتمة بالنّظرة النّصية؛ فلا يغادر الرّازي سورة أو آية إلاَّ بيَّن ما أحيط بها من أغراضها، وفي كلامه داخل السورة يتعرَّض لمسائل لغوية ونحوية عديدة تتعلق بترابط النصّ.

أسباب اختيار الموضوع:

تتمثل أسباب اختيار هذا الموضوع في الآتي:

1) ندرة الدراسات النصية لمفسري القرآن الكريم عمومًا، ومحاولةُ تطبيق هذه الدراسة على التفسير الكبير للإمام الرّازي تأتي رغبة في إضافة جهد متواضع للجهود التي سبقتني من ناحية، ومحاولة للاقتراب من فهم القرآن الكريم وبيان إعجازه من ناحيةٍ أخرى.
2) إبراز جهود الإمام الرّازي وإسهاماته القيمة في مجال لسانيات النّص.
3) الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني، وتذليل كثير من الصعاب التي قد تواجه المهتمين بهذا الحقل من المعرفة.
4) بيان خصائص سور القرآن الكريم، وعلاقة نحو النص بعلم البلاغة.

التعريف بالإمام فخر الدين الرّازي وبتفسيره:

قام كثير من الباحثين بتعريف الإمام الفخر الرّازي –رحمه الله– من وجوه متعددة، ولعدم التكرار سنقوم بإعطاء نبذة موجزة عنه، وسيحيل إلى المصادر والمراجع الخارجية لكي لا نخرج هذه التوطئة عن مقتضاها.

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبري الأصل، الرّازي المولد الفقيه الشافعي[3]، المكنى بأبي عبدالله الرّازي، وأبي المعالي، والمعروف بابن الخطيب.

كان مولده في مدينة الرّيّ سنة 544هـ، وهي كورة من مشاهير بلاد الديلم، قريبة من خراسان، والنسبة إليها (رازي)[4].

ثقافته وشيوخه:

ألمَّ الرّازي بجميع فروع الثقافة في عصره، ولم يترك فتا إلا وتعلمه وصنف فيه. وكان الإمام شديد الحرص جدًّا في العلوم الشرعية والحكمة، تتلمذ في أول أمره على والده الشيخ ضياء الدين عمر، وقرأ علم الكلام والحكمة على المجد الجيلي أحد تلامذة الإمام الغزالي، وكان يحفظ (الشامل) الإمام الحرمين في علم الكلام[5].

تلاميذه:

ومن تلامذة الرّازي: زين الدّين الكُشّي، والقطب المصري، وشهاب النيسابوري، كانوا من كبار تلامذته، ومن أكثر الناس تقديرا له، وإبراهيم بن أبي بكر بن علي الأصبهاني، الذي أملي الإمام عليه وصيته[6].

مؤلفاته:

للإمام الرّازي مصنفات كثيرة، اشتهرت وذاعت في الآفاق، وبلغت أكثر من مائة كتاب في مختلف العلوم، والفنون، وذكر ابن كثير أنها بلغت نحو مائتي مصنف[7] ترك الإمام إنتاجا علميًّا غزيرًا في حقول المعرفة المختلفة كالفقه، والتفسير، والفلسفة، وعلم الكلام والطب.

ومن أهم المصنفات: أسرار التنزيل وأنوار التأويل، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، أساس التقديس في علم الكلام، شرح عيون الحكمة.

وفاته:

توفي الإمام فخر الدين الرّازي بـ(هراة) في دار السلطنة 606هـ.

تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب):

جاء هذا التفسير في خاتمة مصنفات الرّازي بعد حياة حافلة في ميادين العلوم والمعارف مما جعل له سمتًا مميّزًا.

جاء عنوان الكتاب (التّفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، أما تسميته بالكبير فهو كالوصف له لأنه كان في عدة مجالات، وأما عن تسميته بـ(مفاتيح الغيب) فقيل بأنه مشاركة فيما عند الله –عز وجل– في قوله – عز وجل–: "وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ"[8]، ولكن يبدو أن الإمام قصد بهذه التسمية (الاستعارة)؛ إذ المفاتيح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال، فالعالم بتلك المفاتيح وكيفية استعمالها في فتح تلك الأغلاق والأقفال يمكنه أن يتوصل بتلك المفاتيح إلى ما في تلك الخزائن[9].

وقد أراد الإمام أن يضع القرآن العظيم موضع الدراسة والبحث، والتحليل على منهج يرى تفوق الحكمة القرآنية على سائر الطرق الفلسفية، وانفرادها بهداية العقول.

توطئة عن مفهوم السياق بين علماء العربية والمحدّثين:

مفهوم السياق:

السياق من سَاقَ يَسُوقُ سَوْقًا وَسِيَاقًا، وهو الدفع والتتابع[10]، وقد ورد في القرآن الكريم باستعمالات متعددة منها قوله –عز وجل–: "حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ"[11]، و"سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"[12].

يقول الدكتور تمام حسان تأكيدا لهذه المعاني اللغوية التي تدل على (التتابع والإيراد): "المقصود بالسياق (التوالي)، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين: **أولاهما:** توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمَّى (سياق النص)، **والثانية:** توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف)"[13].

وتبدو أهمية السياق في الكشف عن دوافع إنتاج النص، والمراحل التي مرَّ بها، كما يلعب دورًا مهمًا في عمليات فهم النص وتفسيره –كما سيتبيَّن– على اعتبار أنَّ النص حدث اتصالي يشارك فيه المتكلم والمتلقي في زمان ومكان معيَّنين[14].

لقد كان السياق أحَدَ المصطلحات العصية على التحديد الدقيق، حتى نص بعض الباحثين صراحةً على أنه "لا يمكن إعطاء جواب بسيط على السؤال: ما هو السياق"[15]، والحقيقة أن كثيرًا من المصطلحات العلمية شاع استعمالها بين الدارسين "حتى توهم البعض أن هذا المصطلح أو ذاك واضح أو مفهوم، فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنهم يفهمونه، بدا الأمر عسيرًا غاية العُسْرة غامضًا أشد الغموض، ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال العصية على التحديد الدقيق بشكل متَّفَقٍ عليه بين الدارسين: مصطلح (الكلمة)، ومصطلح (الجملة)، ومصطلح السياق)"[16].

ونرى أن السياق عمومًا هو محاولة للربط بين البنية اللغوية للمفردات والجمل والنصوص فيما بينها، وربطها بالعناصر الحالية المقامية وظروفها وملابساتها التي تُنجَزْ فيها.

عند علماء العربية:

أدرك علماؤنا الأوائل أثرَ السياق في توجيه المعنى وتحديده، إذ وجدوا أن ظاهر الألفاظ المُفردة لا يُعين على فَهم النصوص فَهمًا صَحيحًا، وقد كان للنظم القرآني أثرٌ بالغ في ذلك، فحين بدؤوا بتفسيره أدرَكوا أن له نظمًا خاصًّا به، وهو نَظم فريد مؤثر ليس له نظير، لكنه متعدد الوُجوه والمَعاني؛ حيث يُتيح إمكاناتٍ أكثرَ في الأداء والتعامل مع النص، إذ يتلازم الجانبان اللغوي والنحوي والبلاغي، لتحقيق جانب الإبلاغ والتأثير في المُتلقي، وهو المُتوَخى من القرآن، ومن غير فهم النظم لا يمكن أن نكشف عن نسق المعاني ولا أن نُحدد أبعادها أو نكشف عن الفروق الدلالية الدقيقة بينها من جهة، وبين خصوصيات التراكيب من جهة أخرى، ومن ثم ربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض العام[17].

وقد تنبه العرب إلى أهمية السياق في فهم النص القرآني منذ عهد مبكر جدًّا فقد روي أن أعرابيًّا سمع رجلًا يقرأ هكذا: (والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيدهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم)؛ فقال الأعرابي: ما هكذا يكون الكلام الفصيح، فقيل له: لماذا؟! فقال: لو رحم ما كان قطع، فقيل له: صواب الآية: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[18]

لقد بيّن علماء التفسير أن فهم المعنى القرآني لا يتحقق إلا بعد مَعرفة سياق الكلام، فبه يزول الإشكال ويتعيَّن المُحتمَل ويُخصَّص العام ويُفسر المُبهم[19]، وهو أمرٌ لا يُدرِكه إلا ذوو القدرات المُتميزة والبَصائر النافذة والأذواق السليمة؛ ولذا يُشترط في المُفسِّر الإحاطة بعلوم العربية (اشتقاق، ونحو، وصَرف)، وبالقراءات القرآنية، وبأسباب النزول التي لها أثر بين في كشف دلالات الآيات وتعميمها أو تخصيصها، وبعلم المناسبة الذي يكشف عن العلاقات الدلالية بين الآيات والسور التي تربط النص ربطًا مَتينًا، فيُصبح التأليف كالبناء المُحكم المتّسِق الأجزاء[20].

وقد عني المفسِّرون منذ عهد مُبكر بالإشارة إلى المعاني السياقية المختلفة للفظ الواحد، وتشهد لذلك كتب الوجوه والنظائر المتعددة.

كما عني بها أيضا الأصوليون، واستندوا إليها في تحديد الأحكام الشرعية؛ ولذا فقد زينت كتبهم بدراسات سياقية متميزة، ومن أقدم هذه الإشارات ما ورد عن الإمام الشافعي في رسالته الفقهية حين أشار إلى أثر السياق في فهم المعنى المحدد للألفاظ وفي تخصيص المعنى العام للآيات أو العكس[21].

لقد طرقت فكرة السياق أذهان اللغويين العرب بقوة منذ زمن الخليل بن أحمد الذي بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي الحرفي، ومن ثم تقسيمه على ما يحمله من ألفاظ مستعملة وأخرى مهملة لدى تقلب الحرف في التركيب لتعود ألفاظا بداية ونهاية، طردًا وعكسًا، ومن ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة والمهمل دون استعمال[22].

يتبين ذلك بوضوح في معجم (العين) الذي لم يترك نشا لغويًّا فصيحًا إلا واستشهد به، وقد فرَّع معاني الألفاظ حسب ورودها في النصوص المختلفة حيث اعتمدت المعاجم المعنية بالألفاظ على إيراد الشواهد المختلفة لتجسيد المعنى المقصود بأفضل صوره ومعانيه اهتماما بالسياق لإيضاح وتفسير المعنى المراد بأفضل أشكاله ودلالاته، وهو ما اعتمد عليه المحدثون في بحوثهم[23].

وما ورد يبين حقيقة مفادها أن هذه الشذرات هي ما يبرز نشوء نظرية الدلالة السياقية الحديثة، ويوضح إشارات اللغويين القدماء إلى السياق وتقيدهم به دون تسميته هذه التسمية الحديثة في تصانيفهم لمعاجمهم[24].

وكان ابن جني من اللغويين الذين تبلورت عندهم فكرة السياق بشكل واضح، ولعل إشاراته إلى (حال المشاهدة) أبرزُ دليل على اهتمامه بالسياق[25]، وفيها يحاول تفسير دلالات الألفاظ غير الطبيعية، أي: تفسير دلالة الألفاظ التي لا يبدو فيها وجود علاقة طبيعية بين اللفظ ومدلوله (كقول العرب لمن رفع صوته: رفع عقيرته؛ فهناك بُعْدٌ بين المادة المعجمية والمعنى المراد)، ويحاول أنْ يُرجِع تلك الأسباب إلى أسباب سياقية اجتماعية، وقد استند في إثبات ذلك على نص لسيبويه ليؤيد به ما ذهب إليه، يقول: "وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنَّا؛ ألا ترى إلى قول سيبويه: (أو لعلَّ الأوّل وصل إليه علمٌ لم يصل إلى الآخِر)[26]؛ يعني أن يكون الأوَّل الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية؛ والآخر –لبعده عن الحال– لم يعرف السبب التسمية"[27].

وكذلك غني بالبلاغيون بالسياق، وتمثل لديهم في اتجاهين:

الأول: مفهوم السياق الذي أرسى قواعده القاضي عبدالجبار[28]، ووضع هيكليته عبدالقاهر، والذي يقوم على أساس أن الكلمة لا قيمة لها في حالة إفرادها، وإنما يكون خستها ورداءها في نظمها، حيث يقول: "إنَّ الألفاظ لا تتفاضَل من حيثُ هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمٌ مفردة، وإنَّ الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة المعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك في موضع، ثم تراها بعينها تثقُل عليك وتوحِشُك في موضع آخر"[29].

والثاني: العناية بالسياق الحالي، وذلك بربطهم الصياغة بالسياق وتأكيدهم قاعدة (لكلِّ مقامٍ مقالٌ)، وضرورة مراعاة البليغ لمُقتضَيات الأحوال والمَقامات، مثل: حال المتكلم، وحال المُخاطَب، والظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية والنفسية المحيطة بهما[30].

كان السياق موضع عناية اللغويين أيضا، ويتجلى ذلك في كتب الأضداد والمشترك اللفظي التي منحت السياق أهمية بالغة في تحديد المعنى المُراد؛ ذلك أن معاني الألفاظ المشتركة والمتضادة متعددة ولا يحددها إلا السياق الذي تَرِد فيه، إذ يُعطيها بُعدَها الدلالي الخاص بها بما لا يَدع مجالًا للشكّ والالتباس.

عند علماء النصّ:

أفاد الغربيون المُحدَثون من تراث العرب ومن علمهم الغزير في ميدان السياق الدلالي، وتوجهوا للعناية به ودراسة أثره في فهم المعنى، وأعانهم في ذلك تطور وسائل البحث اللغوي واكتشاف كثير من الحقائق اللغوية المُهمة، ولاسيما في علمي الدلالة والأصوات؛ لذا عمد فيرث إلى صياغة نظرية السياق الحديثة التي صارت فيما بعد مُرتكزًا لأصحاب المنهج السياقي، ومن أهم أصولها[31]:

1) أن الكشف عن المعنى لا يكون إلا بوضع الألفاظ في سياقات مختلفة؛ إذ يتحصل المعني بكم العلاقة بين الألفاظ وما يجاوِرُها.

2) أن دراسة المعنى تتطلب تحليلًا واعيًا للسياقات والمواقف التي ترد فيها الألفاظ حتى ما كان منها غير لغوي، فقد دعت إلى اعتماد المقام أو العناصر المحيطة بالمّوقف الكلامي، مثل طبيعة الكلام ودلالاته المختلفة، وأثره الفعلي على المُتلقي، وشخصية المتكلم والمتلقي والظواهر اللغوية الاجتماعية المُحيطة بالنص.

لقد أوْلى المحدثون عنايةٌ خاصةٌ بالسياق في تفسير (الحدَث الكلامي) فهو لدى فندريسَ المُعينَ على تحديد قيمة الكلمة؛ لأنه يُحدِّدها ويُجردها من كل الدلالات التي يمكن أن تتبادَر إلى الذهن عند سَماعها منفردة[32]، كما أنه لدى ستيفن أولمان القادرُ وحدَه على مساعدتنا في إدراك المتبادل بين المعاني الموضوعية والعاطفية والانفعالية؛ ولذلك فهو يَعُدُّ (نظرية السياق) حجر الأساس في دراسة المعني[33].

وقد يبالغ بعضهم فيُلغي أيَّ دورٍ للكلمة في تحديد المعنى، ويُعطي السياق الدور الأول في ذلك؛ إذ ذكر جون لاينز أنه "لا يمكن فَهم أي كلمة على نحو تامٍ بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها، والتي تُحدد معناها"[34]، وفي هذا إلغاء التفرد المعنى المعجمي الأصلي للكلمة المفردة بالدلالة، وتقليل لأهميته الانفرادية؛ لأن الواقع اللغوي يؤكد "أن في كل كلمة نواةً صلبةً من المعنى –نسبيًّا– ويمكن تكييفها بالنص ضمن حدود معينة"[35]، وهو ما سماه الطوسي (أصل الباب)، وعده البؤرة الدلالية التي تجتمع حولها الدلالات المتفرعة للفظ الواحد.

بناءً على ذلك فإن لكل كلمة معنًى معجميًّا، يمثل معناها الحقيقي ومعنًى تاريخيًّا تكتسبه بفعل الاستعمال العُرفي، ومعنًى ظرفيًّا آنيًّا تكتسبه في سياقات خاصة وظروف محددة يعيشها المتكلم[36].

يقسم المحدثون[37] السياقات إلى ثلاثة أقسام:

1) السياق اللفظي (verbal Context)، أو السياق اللغوي (Linguistic Context):

يُراد به نسق الكلام ومجراه الذي يقوم على ارتباط الألفاظ بعلاقات سياقية بما قبلها وما بعدها[38]، وهو مجموع الألفاظ المُصاحبة للفظ المراد تفسيره التي تساعد على توضيح المعنى[39]، وقد يكون سياقًا متقدّمًا على اللفظ أو متأخرًا عنه أو مكتنفًا من جانبيه، إذ يُعد من أهم القرائن الدلالية المُساعدة في كَشف دلالات الألفاظ والتراكيب وهي في نسقها المنظوم[40]، وهو نوعان:

الأول: السياق اللفظي الذي سماه القدماء متصلاً[41]، على حين سماه بعض المحدثين بسيطاً[42]، وهو الذي يكون في نفس الموضع، ومن ذلك تفسير (المجرمين) بـ(الكافرين) في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ"[43] وذلك اعتمادا على سياق الآية نفسها.

الثاني: السياق اللفظي الذي سماه القدماء منفصلاً[44]، على حين سماه المحدثون مركبًا[45]، وهو الذي يكون خارج سياق النص أو اللفظ المراد تفسيره ويبتعد عنه، ويدخل هذا النوع من السياق اللفظي في باب (تفسير القرآن بالقرآن) الذي اعتمده المفسرون عامة[46].

2) السياق الحالي (Situational Context):

هو مجموعة العوامل والأصول والملابسات التي تُصاحِب النص وتُحيط به عند نطقه أو كتابته، ويشمل جميع أنواع النشاط اللغوي المَنطوقة والمَكتوبة[47].

وقد أدرك علماء العربية أثر السياق الحالي في دلالة الكلام وتوجيه المعاني وتَنبيههم على ذلك بصور شتَّي، فقد حدَّدوا فائدته على نحوٍ دقيق، ولاسيما البلاغيون منهم، الذين سمَّوه (المَقام) وجعلوا لكلِّ مقام مقالًا[48]، فقد أولوا الجانب الاجتماعي اهتمامًا خاصًّا؛ لأن تحليل المعاني على المستويات اللغوية الأربعة يُعطي المعنى الحرفي بعيدًا عن محتواه الثقافي والاجتماعي ومُجردًا من القرائن الكاشفة عن المعنى الدقيق، فالمقالُ لا يحدد الدلالة المقصودة إلا عند اقترانه بالمَقام المصاحب له، فحين نسمع مثلا عبارة (أهلاً وسهلاً) في مقام الترحيب، يكون لها مدلول غير الذي نسمعه في مقام توبيخٍ من تأخَّر عن موعد حضوره، فكثيرٌ من التعابير لا يفهم على نحو دقيق إلا بالوقوف على السياقين اللفظي والحالي المصاحبين لها[49]:

3) السياق العقلي (ContextMental):

هو سياق خارج عن النص اللغوي وسياق الحال، وإنما هو شيء معنوي، طريقه العقل ويستنبط من النص، ويدلُّ عليه المعنى العام، وبه يوصل إلى الدلالة المقصودة[50].

وهو من القرائن المُعتبَرة في الفكر الإسلامي، يعتد به جميع أهل العلم والفقهاء والأصوليون والمتكلمون والمفسرون وغيرهم، وأقدم من نبه على أهميته في الاستدلال هو الحارث المحاسبي الذي ع العقل أساسا وسيلة للمعرفة، وأنه مضمن بالأدلة العينية الحسية والخبرية السمعية، وأساسه النظر والاستدلال[51].

كما نبّه على ذلك أبو بكر الباقلاني الذي يُعد من مؤصِّلي الفكر الأشعري، وسماه (علم النظر والاستدلال)، وهو لديه الدليل الخامس من طرق الاستدلال[52]، فهو يقم الدليل الشرعي في الاستدلال على الدليل العقلي، وهو ما اتفق عليه الأشاعرة عامة، أما المعتزلة فالدليل لديهم هو الأساس والدليل الشرعي تابع له مؤيد لما في العقول عندهم[53].

من ذلك عند الرّازي –رحمه الله– تفسيره لحذف المنادي (ربَّنا) في الدعاء الرابع خصوصا من قوله تعالى: "رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا"[54]

بقوله: "إنما حذف النداء إشعارا بأن العبد إذا واظب على التضرع نال القرب من الله تعالى"[55]، ومثل ذلك كثير.

لقد تعرض الرّازي في تفسيره كثيرا إلى السياق بمعناه الذي يتوزع بين مفاهيم تتابع الكلمات في الجمل، والجمل في النصوص، والمقام الذي يصاحب الكلام، والقصة أو الظرف الخارجي الذي يمكن فهم الكلام على ضوئه.

المبحث الأول

السياق النصي (المقالي) عند الإمام الرّازي

للحديث عن السياق النصي (المقالي) عند الإمام الرّازي ينبغي –أولاً– أن تعرف الدراسة بالسياق النصي أو المقالي، ثم تبيَن –ثانيًا– أهمية السياق النصي في اتساق النصوص، ومن هنا يتم تناول هذا الموضوع في التفسير الكبير للإمام الرّازي.

السياق النصي (المقالي):

يعرّف السياق النصي المقالي للنص القرآني على أنه "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[56]، و"يشمل ضم الكلمات بعضها إلى بعض وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها وما توحيه من معنى، وهي مجتمعة في النص"[57]

ويرتبط معنى اللفظة في السياق بمعاني كل ما يصاحبها من ألفاظ تساعد على توضيح المعنى، سواء تقدمت تلك الألفاظ على اللفظ أم تأخّرَت عنه.

ولأهمية السياق النصي في توضيح دلالة النصوص توضيحًا دقيقًا وسليمًا من خلال إظهار خصوصيات المفردة أو التركيب وربطها بعموم النص مع إيضاح الفروق المعنوية الدقيقة في التركيب – ظهرت (نظرية السياق)، وهي من نظريات علم اللغة الحديث التي لها جذور عند العلماء العرب والتي تعنى بدراسة المعنى داخل النص، ومن أصحاب هذه النظرية فيرث الذي يرى أن اللفظة لا يمكن إيضاح دلالتها إلا من خلال تسييق الوحدة اللغويَّة، أي: وضعها في سياقات مختلفة[58].

فأصحاب هذه النظرية يعطون للسياق اللفظي أهمية كبيرة في الكشف عن المعني، أما المفردة فلا دلالة لها إلا داخل السياق[59].

وليست نظرية السياق –بهذا المفهوم اللغوي– جديدة إلا في تسميتها؛ حيث كان الإمام عبدالقاهر الجرجاني أول من تحدث وأسس لها قواعد وأصوة، وأطلق عليها نظرية (النظم) التي سبقت النظرية الغربية

(السياقية)؛ فالنظم عند عبدالقاهر الجرجاني هو "العلاقات التي تربط الألفاظ بعضها ببعض، ومناسبة بعضها البعض في المعنى، أما الذي يحد حسن اللفظة أو قبحها فهو موضعها من التركيب أو النظم"[60].

أما المعنى السياقي اللفظي وأهميته في الوصول إلى المعنى العام للنص فقد عني به علماء التفسير خاصة؛ فكان اهتمامهم ينصبُّ على فهم النص القرآني وتفسيره، وكان السياق عندهم "يرشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم"[61].

أهمية السياق النصي (المقالي) في الاتساق النصي:

إنَّ النص يحتاج إلى السياق لكي يُحكم بناؤه ويشتدَّ ارتباط اجزائه بعضها ببعض، هذه العلاقة المؤكَّدة بين النَّصّ والسياق يؤكِّدها علماء اللغة بأنَّ "كلًّا من النص والسياق يمكن تفسيره بالرُّجوع إلى الآخر"[62].

والسياق القرآني يتكون من دوائر متداخلة تتألف لإيضاح المعنى، فقد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، وقد يقتصر على آية، وقد يمتد في السورة كلها، وقد يطلق على القرآن بأجمعه[63].

فالسياق القرآني إذا أنواعٌ متعددة فضاؤها واحد هو القرآن الكريم، وتسير هذه الأنواع منتظمة في مدارات مقاصده وأغراضه العامة، وهي: سياق السورة، وسياق المقطع، وسياق الآية.

أما عن الدلالة السياقية النصيّة المقالية للتركيب القرآني فتتضح عندما يتعلق المعني بالموقع الذي تشغله عناصر هذا النظام التركيبي (الحالية، الوصفية الاستئناف، الاعتراض) أو تحديد المعنى الأداة من الأدوات او لأسلوب من الأساليب (الشرط، الطلب) أو تحديد معنى العائد (الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة) من بين الروابط النصية أو غير ذلك من قضايا تركيبية تشكل النظام التركيبي للنص القرآني.

مراعاة السياق النّصي (المقالي) في كتاب مفاتيح الغيب:

حاول الرّازي أن يرتكز على معطيات السياق النصي في تفسيره، وقد كانت متنوعة؛ فقد كان يستعين في تفسير الآية بمعطيات السياق اللغوي السابق أو اللاحق، كما كان يستعين بمعطيات اللغة وإمكاناتها في الحذف والتقدير والتقديم والتأخير وغيرها.

وهذا النوع من السياق اللفظي اللغوي النصي المقالي يدخل ضمن ما يسمَّى (تفسير القرآن بالقرآن) الذي اعتمده المفسرون عمومًا.

ومع ذلك فقد كانت له في ذلك ألفاظ وعبارات خاصة، مثل: (تعلق الآية)، و(تأمل في مقدمة الآية وفي مؤخَّرِها)، و(في نظم الآية)، و(في كيفية النظم أقوال)، و(في النظم)، و(سياق الآية)، و(أليق بسياق الكلام)، و(في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها)، وغيرها[64].

1- السّياق اللغوي السابق أو اللاحق:

أ. قوله –عز وجل–:

"إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ"[65]

يبين الرّازي معنى (المجرمين في هذه الآية بقوله: "أي: ومثل هذا الذي وصفنا نجزي المجرمين، والمجرمون والله أعلم هاهنا الكافرون؛ لأن الذي تقدم ذكره من صفتهم هو التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها"[66].

بهذه العبارة البسيطة يعتمد الرّازي في تبيينه لمعنى (المجرمين) على معطيات السياق النصِّي السابق داخل الآية، وكذلك يخدم السياق النّي بعضُه بعضًا.

ب. قوله –عز وجل–:

"وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ"[67]

يبيّن الرّازي أنه وقع الاختلاف في مرجع الضمير في (مثله)، فقيل: "إنه عائد إلى (ما)، أي: فأتوا بسورة مما هو على صفته في الفصاحة وحسن النظم، والثاني أنه عائد إلى لفظة (عبدنا)، أي: فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرًا أميًّا لم يقرأ الكتب، ولم يأخذ من العلماء"[68].

وقد رجَّح الرّازي القول الأول معتمدا على السياق، فقال: "ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في باب التحدِّي، لاسيما ما ذكره في سورة يونس: (فأتوا بسورة مثله)[69]، وأن البحث إنما وقع في المنزل لأنه قال: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا)؛ فوجب صرف الضمير إليه"[70].

ثم قام بتأويل الآية: «ألا ترى أن المعنى: وإن ارتبتم في أن القرآن منزَّل من عند الله فهاتوا شيئًا مما يماثله"[71]، فالتحليل الثاني الذي رجَّحه الرّازي اعتمد فيه على القرينة السياقية النصِّية المتقدِّمة داخل سياق الآية الواحدة، وإن استأنس بأية أخرى مشابهة.

ج. قوله –عز وجل–:

"وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ"[72]

ذكر الرّازي أن المفسرين يرون أنَّ سبب نزول هذه الآية أن الكفار زيادةٌ في التعنت والعناد قالوا: لو نزل القرآن بلغة العجم!! فنزلت هذه الآية[73].

فيرد الرّازي عليهم بأن هذا الكلام فيه حيف عظيم على القرآن الكريم؛ ذلك لأن الآية لو فيرت بما سبق فإن ذلك يعني أن في القرآن الكريم آيات لا تتعلق بعضها ببعض، وأنه كتاب غير منتظم، ولكن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد، وهذه الآية متعلقة بأية سبقتها، وهي قوله تعالى: "وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ"[74]، والتقدير: أنَّا لو أنزلنا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا: كيف أرسلت كلام العجم للعرب؟! وذلك لأنَّا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه، أما لمَّا نزل هذا الكتاب بلغة العرب فكيف يدعون أن في قلوبهم أكلة وفي آذانهم وقرًا؟!![75].

وبهذا يعتمد الرّازي في ردّه على المفسرين على معطيات السياق النصّي السابق لهذه الآية داخل سياق السورة الواحدة.

د. قوله –عز وجل–:

"أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ"[76]

يعتمد الرّازي في تفسيره للاسم الموصول (مَن) في أول الآية على معطيات اللغة؛ فيذكر أنَّ هذا الذي وصفه الله تعالى بأنه على بينة من ربه في الاسم الموصول (أفمَن كان) لم يتفق على تحديده، فقيل: المراد به النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقيل: المراد به من آمَن من اليهود، ثم يضيف أنَّ الوجه الثاني هو الأظهر لقوله تعالى في آخر الآية: (أولئك يؤمنون به) وهذه صيغة جمع فلا يجوز رجوعه (مَنْ) إلى محمد –صلى الله عليه وسلم–[77].

وبذلك يكون الرّازي قد اعتمد في بيان مرجع الضمير في أول هذه الآية على معطيات السياق النصي اللاحق داخل الآية نفسها.

2- الحذف والتقدير:

لقد كان الحذف والتقدير واحدا من أدوات الرّازي التي احتكم فيها إلى السياق اللغوي وما تتيحه اللغة من إمكانات، ومن ذلك:

أ. قوله –عز وجل–:

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ"[78]

ينطلق الفخر الرّازي من معطيات السياق النصي، ويرى أن كلًّا من (صدٌّ) و(كفرٌ) مبتدأ، وبحسب القواعد: لا بد للمبتدأ من خبر، وفي ضوء السياق يُحمَل الكلام على الحذف؛ فيجعل الخبر محذوفًا لدلالة دليل، أي: لدلالة ما تقدَّم عليه، والتقدير: قل: قتال فيه كبير، وصدٌّ عن سبيل الله كبير، وكفر به كبير، ونظيره قولك: زيد منطلق وعمرو، تقديره: وعمرو منطلق[79]، وبهذا يعتمد الرّازي على دراية المتلقي بالنظام اللغوي.

ب. قوله –عز وجل–:

"وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ"[80]

يرى الرّازي أن في النص محذوفًا أظهرته نصوص أخرى، ولو لم يقدَّر كان ذلك طعنا في نبي الله موسى الكلية إذ لم يمتثل الأمر، وعليه فالفاء في قوله: (فانفجرت) متعلقة بمحذوف، والتقدير: فضرب فانفجرت، أو: فإن ضربت فقد انفجرت، كما في قوله تعالى: "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ"[81]، على أن المراد: فضرب فانفلق، بتقدير محذوف[82].

يتبين من ذلك أن الرّازي اعتمد في تفسيره على السياق النصّي لمعرفة العنصر المحذوف، كما استعان بأية لاحقة لتحديد المعنى وتأييد ما ذهب إليه.

ج. قوله –عز وجل–:

"لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ"[83]

يقول الرّازي: "قال النحويون: ارتفع (لعمرُك) بالابتداء، والخبر محذوف، والمعنى: لعمرُك قسمي، وحذف الخبر لأن في الكلام دليلًا عليه، وباب القسم يحذف منه الفعل، نحو: باللهِ، لأفعلنَّ، والمعنى: أحلف بالله؛ فيحذف لعلم المخاطب بأنكَ حالف"[84].

ونرى في كلام الرّازي أمرين مهمين:

الأول: تأكيد على أن المحذوف لا بد أن يكون له ما يدل عليه (لأن في الكلام دليلًا عليه)، وهنا دل عليه دليل لفظي نصي مقالي داخل النص ذاته.

الثاني: تأكيده على أن المتكلم حينما يحذف لا بد أن يراعي حال المتلقي: هل سيتوصل إلى المحذوف أم لا؟ وذلك في قوله: (فيحذف لعلم المخاطب بأنك حالف)، وكأنَّ من شروط اتساق النص سياقيًّا عند الرّازي أن يراعي المتكلم حال المتلقي، وألا يحذف شيئا إلا إذا تيقن أن المتلقي يستطيعه.

د. قوله –عز وجل–:

"آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا"[85]

يقول الرّازي: "(قطرًا) منصوب بقوله: (أفرغ)، وتقديره: آتوني قطرًا أفرغ عليه قطرًا، فحذف الأول لدلالة الثاني"[86].

وفي ذلك أيضا تأكيد على دور السياق اللفظي النصي المقالي الداخلي في بيان المحذوف وموطنه من النص.

هـ. قوله –عز وجل–:

"وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ"[87]

ذكر الرّازي أن جواب القسم المتقدم يمكن أن يكون محذوفا، والمحذوف هنا –فيما ذكره الرّازي– يمكن أن يكون على وجهين يدل عليهما السياق اللفظي النصي المقالي الداخلي للآيات[88]:

الأول: رأي الفراء: لتبعثُنَّ، والدليل عليه ما حكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا: (أئذا كنا عظاما نخرة)، أي: أنبعث إذا كنا عظامًا نخرة.

الثاني: رأي الأخفش والزجاج: لننفخن في الصور نفختين، والدليل على هذا المحذوف نكر الراجفة والرادفة، وهما النفختان.

3- التقديم والتأخير:

كان التقديم والتأخير أحد أهم الأدوات التي احتكم فيها الرّازي إلى السياق اللغوي، ومن ذلك:

أ. قوله –عز وجل–:

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ"[89]

يبين الرّازي أن في رفع (سواء في هذه الآية قولَيْنِ: "أحدهما أنه ارتفع على أنه خبر لأن (انذرتهم أم لم تنذرهم) في موضع الرفع به على الفاعلية، كأنه قيل: إن الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارُك وعدمُه، والثاني

أن تكون (أنذرتهم أم لم تنذرهم) في موضع الابتداء، و(سواءً) خبره مقدما، بمعنى: سواء عليهم إنذارُك وعدمُه"[90].

ثم يرجِّح الرّازي الرأي الثاني معتمدًا على السياق اللغوي؛ فقال بوجوب كوْن (سواء) خبرًا مقدمًا، ونظيره قوله تعالى: "سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ"[91] عند من قرأها بالرفع.

وكذلك يخدم السياق النصي بعضُه بعضًا عند الرّازي؛ فقد اعتمد في تفسيره على السياق النصِّي لتحديد الوظيفة النحوية للمفردة، كما استعان بأية لاحقة لتحديد المعنى وتأييد ما ذهب إليه.

ب. قوله –عز وجل–:

"خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ"[92]

يقول الرّازي: "من الناس من قال: السمع أفضل من البصر، لأنَّ الله تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر والتقديم دليل على التفضيل"[93].

ويتتبع الرّازي تقديم السمع على الفؤاد أو الفؤاد على السمع في القرآن في مواطن كثيرة، فيذكر السر في ذلك بحسب الموضع الذي تأتي فيه، ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى: "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ"[94]؛ حيث يقول: "لم قدَّم السمع ههنا والقلب في الآية السابقة؟ فنقول: ذلك يحقق ما ذكرنا، كذلك لأنَّ عند الإعطاء ذكر الأدنى وارتقى إلى الأعلى، فقال أعطاكم السمع ثم أعطاكم ما هو أشرف منه وهو القلب، وعند السلب قال: ليس لهم قلب يدركون به، ولا ما هو دونه، وهو السمع الذي يسمعون به"[95].

وكأنّ السياق اللفظي النصي العام للقرآن الكريم له دلالة خاصة في تقديم بعض المفردات بعضها على بعض؛ فالقلب يتقدم عند السلب عن السمع لأنه الأشرف، وعند المنح يتقدم السمع على القلب لأنه الأدنى.

ج. قوله –عز وجل–:

"فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ"[96]

"فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا"[97]

هاتان الآيتان أيضا دليل على أن السياق اللفظي النصي العام للقرآن الكريم له دلالة خاصة في تقديم بعض المفردات بعضها على بعض؛ فالتقديم –عند الرّازي– يدخل على العنصر الأهم.

ففي التعليق على الآية الأولى يسأل الرّازي عن الفائدة من تقديم المفعول (فريقًا)؟ ويجيب بأن "التقديم يكون لشدة العناية؛ فالتكذيب والقتل وإن كانا منكرين إلا أن تكذيب الأنبياء عليهم السلام وقتلهم أقبح، فكان التقديم لهذه الفائدة"[98].

وفي التعليق على الآية الثانية يقارن بين تقديم (فريقًا) في الجملة الأولى وعدم تقديمها في الجملة الثانية من حيث السبب مُرْجعًا ذلك للسياق اللفظي النصي العام، فيقول: "ما من شيء في القرآن إلَّا وله فوائد منها ما يظهر، ومنها ما لا يظهر، والذي يظهر من هذا، والله أعلم، أنَّ القائل يبدأ بالأهم فالأهم، والأعرف فالأعرف، والأقرب فالأقرب، والرجال كانوا مشهورين فكان القتل يبدأ واردًا عليهم، والأسرى كانوا هم النساء والضعفاء، ولم يكونوا مشهورين، والسبي والأسر أظهر من القتل لأنه يبقى فيظهر لكل أحد أنه أسير، فقدم في المحلين ما هو أشهر من الفعل القائم به، وما هو أشهر من الفعلين قدمه على المحل الأخفَى"[99].

المبحث الثاني

السياق الحالي (المقامي) عند الإمام الرّازي

للحديث عن السياق الحالي (المقامي) عند الإمام الرّازي ينبغي –أولًا– أن تعرف الدراسة بالسياق الحالي أو المقام، ثم تبيّن –ثانيًا– أهمية السياق الحالي في اتساق النصوص، ومن هنا يتم تناول هذا الموضوع في التفسير الكبير للإمام الرّازي.

السياق الحالي (المقامي):

لقد خلص بعض المعاصرين إلى أن مفهوم السياق لدى القدامى ينحصر في ثلاث نقاط: الأولى: أنّه مقصود المتكلم من إيراد الكلام، الثانية: أنه الظروف والمواقف والأحداث التي قيل النص بشأنها، الثالثة: أنه ما يعرف بالسياق اللغوي، ويشمل العناصر اللغوية السابقة للكلام أو اللفظ والعناصر اللغوية اللاحقة له[100].

ويبدو للمتتبع أن ثمة مصطلحات استعملت قديمًا أو حديثًا، وأريد بها ما يحيط بالكلام أو اللفظ من معطيات غير لغوية تسهم في تشكل معناه، من أبرزها: المقام، والسياق الخارجي، والحال[101].

وقد ارتضى فريق من الباحثين أن يطلقوا على هذه المعطيات المحيطة بالحدث اللغوي مصطلح (السياق الخارجي)[102]، ولكن الدراسة هنا ستستخدم مصطلح (السياق الحالي المقامي)؛ حيث استُمِدَّ منه تعريف البلاغة بأنها (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)[103]، كما أن السكاكي قد عبَّر عن أهمية (المقام) بقوله: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء

على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[104].

وعليه فالسياق الحالي المقامي يشمل مناسبة النص، وجميع المشاركين في معنى الكلام من حيث الجنس والعمر والألفة والتربية والانتماء الاجتماعي والثقافي والمهني والإيحاءات والإشارات العضوية غير اللغوية التي تصدر عنهم، والعادات والتقاليد والقيم والقوانين والعلاقات الاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية والفكرية كلها، كذلك يشمل الظروف الزمانية والمكانية التي يؤدي بها الحدث اللغوي وتؤثر فيه، والأمور الأخرى مما يؤثر في الكلام وفي مراده[105].

إذًا كلُّ ما هو خارجي يحيط باللفظ ويسهم في تشكل المعنى عند المتلقي يدخل ضمن مفهوم السياق الخارجي، وعلى ذلك فالسياق الخارجي للنص القرآني يتجلى بأسباب النزول والمكي والمدني وقوانين العرب في كلامها وحياتها وعاداتها، وأخبار الأمم السالفة، وآراء العلماء السابقين، وأفعال الرسول الكريم وأقواله، وغير ذلك من معطيات خارجية غير لغوية أسهمت في فهم النص القرآني وتحديد معانيه.

أهمية السياق الحالي (المَقامي) في الاتساق النصي:

إنَّ للسياق المقامي دورًا مهمًّا في فهم النص، وإبْراز تماسُكه وترابُطه؛ فبدون الرُّجوع إلى السياق المحيط بالنص قد يُصبح هناك تعمية والغاز، فالنص –كما تم توضيحه في المبحث السابق– يحتاج إلى السياق لأنَّ "كلًّا من النص والسياق يمكن تفسيره بالرُّجوع إلى الآخر"[106].

ويرى فريق من الباحثين أنَّه لا يمكن فهم أي نص أو إدْراك ما فيه من اتساق وترابُط دلالي إلَّا من خلال معرفة عناصر السياق المحيط وإدراك مؤثراته؛ ولذا فمن الطبيعي أن يمثل السياق الحالي دورًا بارزًا في تحديد معنى النص، ثمَّ تحديد تماسُكه[107].

وقد يكون السياق الحالي المحيط بالنص هو أداة التَّماسك الرئيسة في النص، كما في إشارة الرَّسول –صلى الله عليه وسلم– إلى كعب بن مالك –رضي الله عنه– في المصاحبة لقوله –صلى الله عليه وسلم–: ((يا كعب)) التي عُدَّت نصًّا توافرتْ فيه شروط النصِّية، حين مرَّ –صلى الله عليه وسلم– بكعب بن مالك وعبدالله بن أبي حدرد الأسلمي، وكان لكعْب مالٌ على عبدالله بن أبي حدرد ((فتكلَّمَا، فارتفعتُ أصواتُهما، فمرَّ بهما رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال: ((يا كعب))، فأشارَ بيده كأنه يقول: النِّصفَ، فأخذ نصفًا ممَّا عليه وترك نصفًا))[108].

والدليلُ على أنَّ إشارته –صلى الله عليه وسلم– كانت نصًّا بذاتِها فهْمُ الرَّاوي إيَّاها وتصرُّف كعب بن مالك بناءً على ذلك، بل هي أثَّرت في سلوكِه وغيَّرت من تصرُّفه، وجعلتْه يتنازل عن جُزءٍ من حقِّه أو نصف

دَينه، وساعد على ذلك السِّياق الحالي المحيط؛ فالإشارة حلَّتْ محلَّ قوله –صلى اله عليه وسلم–: (يا كعب، خذ النِّصْف ودع النِّصف الآخر)، فقد دلَّت على جملتين مترابِطَتَين سكت عنهما.

وتلك إحْدى مهامِّ علم النص، فهو يحاول "أن يوضِّح لنا كيف يُمكن أن نؤثّر في آخرين بواسطة مضمون معيَّن، يعبر عنه بطريقة أسلوبيَّة محدَّدة وعمليات بلاغيَّة محدَّدة، وبنوع محدَّد من النُّصوص"[109].

مراعاة السياق الحالي (المقامي) في مفاتيح الغيب:

حاول الرّازي أن ينظر إلى مكونات السياق الحالي المقامي التي أسهمت في توجيهه لدلالة المفردات والتراكيب القرآنية وفقًا لأسباب النزول، ومكانه وزمانه، وسنن العرب في كلامها، والحديث الشريف (أقوال الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأفعاله)، والمعطيات الاجتماعية والتاريخية، وآراء السابقين، وذلك في مواطن عديدة من تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب)، ومن ذلك:

1– الاستشهاد بكلام العرب:

كان الرّازي يستشهد بكلام العرب شعرًا ونثرًا، وبطريقتهم في كلامهم، وبالحديث النبوي الشريف في توجيه دلالة التراكيب القرآنية، وإن كان هذا سياقا لغويًّا إلى حدٍّ كبير فإنه يبقى أيضًا سياقًا خارجًا عن لغة النص القرآني ذاته.

ومن الألفاظ والعبارات التي كان يستخدمها الرّازي في ذلك: (أنشد النحويون)، و(قول امرئ القيس)، و(قال الشاعر)، و(أنشدوا)، وغيرها[110].

أ. قوله –عز وجل–:

"ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ"[111]

يوجّه الرّازي مجيء الجماعة (الناس) بمعنى الواحد (ابراهيم) بمعطيات السياق الحالي المتمثلة بقوانين العرب في كلامها، فيقول: "وإيقاع اسم الجمع على الواحد جائز إذا كان رئيسا يقتدى به.. وإيقاع اسم الجمع على الواحد المعظم مجاز مشهور"[112].

والرّازي في ذلك يحذُو حذْو من سبقه من المفسرين، فيقول الطبري: "فإن قال لنا قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه والناس جماعة وإبراهيم –عليه السلام– واحد والله تعالى تكره يقول: (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)؟! قيل: إن العرب تفعل ذلك كثيرًا، فتدل بذكر الجماعة على الواحد، ومن ذلك قول الله –عز وجل–: "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ"[113]، والذي قال ذلك واحد، وهو –فيما تظاهرت به الرواية من أهل السير– نعيم بن مسعود الأشجعي، ومنه قول الله –عز وجل–: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ

الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا"[114]، قيل: عنى بذلك النبي –صلى الله عليه وسلم–، ونظائر ذلك في كلام العرب أكثر من أن تحصى"[115].

وبالتالي كان اعتبار عادات العرب في كلامهم أداةً من أدوات التفسير المعتمد على السياق الحالي المقامي في مفاتيح الغيب حين أخذه الرّازي في اعتباره أثناء توجيهه لدلالة التراكيب القرآنية.

ب. قوله –عز وجل–:

"فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[116]

اختلف المفسرون في تحديد معنى (إلى)، فقد ذهب الطبري إلى أنها بمعنى (مع)، واعتمد على قوانين العرب في كلامها، إذ ذكر أن العرب تستعمل (إلى) بمعنى (مع) إذا ضموا الشيء إلى غيره، ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما إلى الآخر، فتقول: "الذود إلى الذود إبل"[117]، بمعنى: إذا ضممتَ الذود إلى الذود صارت إبلًا[118].

ويفهم من ابن عطية أن الأداة (إلى) على بابها لانتهاء الغاية، وهي تحتمل معنيين: الأول انتهاء الغاية، على تأويل: من ينصرني في السبيل إلى الله؟ والثاني بتأويل يحتاج إلى تأمل لتلمس الغاية فيه، وهو: من يضيف نصرته إلى نصرة الله لي؟ فيكون بمنزلة قوله: "وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ"[119]، ويعقب على ذلك ابن عطية بأن هذا التأويل فيه معنى الغاية، إذ يرى أنك إذا تأملتها وجدت فيها معنى الغاية، لأنها تضمنت إضافة شيء إلى شيء[120].

ويضيف الفخر الرّازي مستعينًا بمعطيات السياق الخارجي المتمثلة بالحديث النبوي الشريف، إذ يذكر أن ثمة وجوها في معنى الأداة، ومن أهم ما ذكر أن تكون لانتهاء الغاية، والتأويل: من أنصاري حال ذهابي أو التجائي إلى الله، أو: من أنصاري إلى أن أبين أو أظهر أمر الله تعالى، والثاني أن تكون للمعية وقال به أكثر أهل اللغة.

ثم يعتمد الرّازي على شواهد منها الحديث النبوي، إذ يرى أن من ذلك قوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم)، أي: معها، و"الذود إلى الذود إبل، أي: مع الذود، ثم يضيف الرّازي تأويلًا آخر يفيد انتهاء الغاية، وهو أن يكون المعنى من أنصاري فيما يكون قربة إلى الله، وفي الحديث أن الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– كان يقول إذا ضحَّى: ((اللهم منك وإليك))[121]، أي: تقربًا إليك، ويقول الرجل لغيره عند دعائه إياه: إليَّ، أي: انضمَّ إليَّ، فكذا ههنا المعنى من أنصاري فيما يكون قربة إلى الله تعالى[122].

ج. قوله –عز وجل–:

"فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"[123]

اختلف المفسرون في تحديد المخاطب في الآية الكريمة؛ فقد ذكر الطبري أن المخاطبين من قوم صالح وهم أحياء، لأن الآية تتحدث عن حال خروج صالح –عليه السلام– من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم، فتوجه إليهم صالح يخاطبهم بأنه أبلغهم رسالة ربه، وأدَّى إليهم ما أمره الله بأدائه إليهم، ونصح لهم، ولكنهم لا يحبون الناصحين لهم في الله[124].

ورأى كل من الزمخشري وأبي حيان وابن كثير أن الخطاب موجه إلى الأموات[125]، ويعلل الزمخشري هذا الرأي بأن الرجل قد يخاطب صاحبه بمثل هذا القول، وهو ميت، وكان قد نصحه حيًّا، فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة، كأن يقول له مثلا: يا أخي، كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل منِّي؟ أما قوله تعالى: (وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) فهو من باب حكاية الحال الماضية[126].

ويضيف ابن عطية فهمًا آخر يجيز الرأيين السابقين، إذ يذهب إلى أن الخطاب القوم صالح، ويجوز أن يكون قد خاطبهم وهم أحياء وقت عقرهم الناقة، كما يجوز أن يكون قد خاطبهم وهم أموات، ثم يضيف مستعينا بالحديث النبوي الشريف المتمثل بخطاب الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– لقتلى الكفار في معركة بدر، فيذكر أن لفظ الآية يحتمل أنه خاطبهم، وهم موتى تفجعا عليهم، كما خاطب رسول الله –صلى الله عليه وسمل– أهل قليب بدر[127].

ويضيف الفخر الرّازي فهمًا خاصًّا معززًا رأيه بالحديث النبوي بعد أن يورد جملة من الاحتمالات ويستبعدها، فيذكر أن صالحًا –عليه السلام– الطبيعة خاطبهم بعد كونهم جاثمين، كما أن محمدا –صلى الله عليه وسلم– خاطب قتلى بدر، فقيل: تتكلم مع هؤلاء الجيف؟ فقال: ((ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون))[128]، إذًا استند إلى السياق الخارجي المتمثل بفعل الرسول وفي توجيه الدلالة التركيبية.

من هذين المثالين يتبين طريقة الرّازي في الاستعانة بالحديث النبوي الشريف في توجيه الدلالة التركيبية، وقد أدرجَتْه الدراسة ضمن السياق الخارجي لا اللغوي لأنّه ليس جزءا من التشكيل اللغوي للقرآن الكريم، ولأن جزءا منه يتمثل بأفعال الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– وإشاراته، وقد استعان به المفسرون عمومًا من بين المعطيات الخارجية في توجيه الدلالة التركيبية عندما أرادوا أن يبينوا معاني التشكيل اللغوي للقرآن الكريم.

2– مراعاة عناصر المقام:

حاول الرّازي أن يراعي عناصر المقام من زمان ومكان، ودوافع للمتكلم، وظروف للمتلقي وغيرها في توجيه دلالة التراكيب القرآنية.

أ. قوله –عز وجل–:

"وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"[129]

"وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"[130]

في هاتين الآيتين عبر القرآن الكريم بـ(خطاياكم) في الأولى، وبـ(خطيئاتكم) في الثانية، وقد علق الرّازي على ذلك عند تناوله للآية الأولى محتكما إلى أحد عناصر المقام، وهو عنصر المتكلم؛ فتساءل: لم قال في البقرة: (نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُم) وفي الأعراف: (نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ)؟

وأجاب قائلًا: "الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة فهو للقلة، وفي سورة البقرة لما أضاف ذلك القول إلى نفسه فقال: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) لا جرم قرن به ما يليق بجوده وكرمه، وهو غفران الذنوب الكثيرة، فذكر بلفظ الجمع الدال على الكثرة، وفي الأعراف: لما لم يضف ذلك إلى نفسه بل قال: (وإذ قيل لهم) لا جرم ذكر ذلك بجمع القلة؛ فالحاصل أنه لما ذكر الفاعل ذكر ما يليق بكرمه من غفران الخطايا الكثيرة، وفي الأعْراف: لما لم يُسَم الفاعلُ لم يذكر اللفظ الدال على الكثرة"[131].

وللباحث هنا ملاحظتان:

الأولى: أن الرّازي قد لاحظ أن لكل سياق خصوصيةٌ دلالية ضمن الإطار العام للدلالة القرآنية، وأثبتها في تفسيره من خلال المقارنة بين المواطن المتشابهة.

الثانية: أنَّ الرّازي احتكم فقط إلى أحد أهم عناصر المقام، وهو عنصر المتكلم، والذي ينبغي مراعاة دوافعه وأحواله بحيث يسهم ذلك في فهم الدلالة التركيبية.

ب. قوله –عز وجل–:

"وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ"[132]

يرى معظم المفسرين أن المقصود من (ما حرم عليكم) في الآية السابقة هو قوله تعالى في أول سورة المائدة: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ"[133]، بيد أن قسمًا منهم يرى خلاف ذلك؛ فقد ذهب الفخر الرّازي إلى أن في هذا التوجيه إشكالًا، وقد استعان فيما ذهب إليه بمعطيات المكان والزّمان، يقول: "وفيه إشكال وهو أن سورة الأنعام مكية وسورة المائدة مدنية، وهي آخر ما أنزل الله بالمدينة وقوله تعالى: (وقد فصل) يقتضي أن يكون ذلك المفصل مقدما على هذا المجمل، والمدني متأخر عن المكي والمتأخر يمتنع كونه متقدما بل الأولى أن يقال: المراد قوله تعالى بعد هذه الآية "قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى

طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ"[134]، وهذه الآية وإن كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل إلا أن هذا القدر من التأخير لا يمنع أن يكون هو المراد والله أعلم"[135].

ثم يتابعه القرطبي مستبعدا أن يحيل القرآن الكريم إلى آية لم تنزل بعد، ولكنه يستدرك ليجد للرأي السابق تأويلا، وهو أن يكون الماضي بمعنى المستقبل، أي: أن يكون الفعل (فصَّل) بمعنى الفعل (يفصِّل) وبذلك يجوز الرأي الآخر ويزول الإشكال[136].

وبذلك يتبيَّن أنَّ عنصر الزّمان الذي يروي به النصّ أو الزمان الذي قيل فيه ذلك النصّ يسهم في تشكُّل دلالة تراكيبه.

ج. قوله –عز وجل–:

"وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"[137]

اختلف العلماء في تحديد المخاطبين (النّاس) وطبيعة الفريضة في العبارة السابقة من الآية الكريمة، فأي الناس يخاطبهم الحق، وما طبيعة هذه الفريضة؟

يري الجمهور أن الخطاب موجَّه إلى المسلمين، فيكون وجوب التكليف للمسلمين، أي: والله على (المسلمين) حجُّ البيت، فلام التعريف في (الناس) يراد بها فئة محددة من البشر، وعليه تكون هذه اللام للعهد الذهني[138].

ويبدو أنّهم في هذا التفسير يعتمدون على معطيات السياق الخارجي المتمثل بالمعهود الشرعي (توجُّه الخطاب المتعلق بالفرائض إلى الإنسان المسلم).

وقد ذهب الرّازي في فهم الآية إلى أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع أيضًا، وعليه يدخل الكفار في وجوب التكليف، واستدل على ذلك بظاهر النصّ والقياس، فقوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت) عام غير مخصص؛ لذلك يشمل المؤمن والكافر، و"عدم الإيمان لا يصلح معارضا ومخصِّصًا لهذا العموم، لأنّ الدهري مكلف بالإيمان بمحمد –صلى الله عليه وسلم–، مع أن الإيمان بالله الذي هو شرط صحة الإيمان بمحمد –صلى الله عليه وسلم– غير حاصل، والمحدث مكلف بالصلاة مع أن الوضوء الذي هو شرط صحة الصلاة غير حاصل، فلم يكن عدم الشرط مانعًا من كونه مكلفًا بالمشروط، فكذا ههنا"[139]، وعليه تكون لام التعريف للاستغراق[140].

وبذلك تم تحديد نوع تعريف (الناس) عند الرّازي بناء على حال المخاطبين؛ فإن كان الخطاب للمسلمين فقط فلام التعريف للعَهْد، وإذا كان المخاطبون هم المسلمون وغيرهم (وهذا رأي الرّازي) فلام التعريف للاستغراق.

د. قوله –عز وجل–:

"وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ"[141]

في بيان مرجعية ضمير الجماعة في (استعينوا) ذهب بعض العلماء إلى أنهم المؤمنون بالرسول؛ وذلك لأن "من ينكر الصلاة أصلا والصبر على دين محمد –صلى الله عليه وسلم– لا يكاد يقال له: استعن بالصبر والصلاة، فلا جرم وجب صرفه إلى مَن صدّق بمحمد –صلى الله عليه وسلم–، ولا يمتنع أن يكون الخطاب أولا في بني إسرائيل، ثم يقع بعد ذلك خطابا للمؤمنين بمحمد –صلى الله عليه وسلم–"[142].

ثم يرجح الرّازي أن هذا الخطاب لبني إسرائيل معتمدًا على معطيات السياق الحالي الثقافي؛ فيقول: "والأقرب أن المخاطبين هم بنو إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى غيرهم يوجب تفكيك النظم، فإن قيل: كيف يؤمرون بالصبر والصلاة مع كونهم منكرين الهما؟! قلنا: لا نسَلِّم كونهم منكرين لهما؛ وذلك لأن كلَّ أحد يعلم أن الصبر على ما يجب الصبرُ عليه حسنٌ، وأن الصلاة التي هي تواضع للخالق والاشتغال بذكر الله تعالى يسلي عن محن الدنيا وآفاتها، إنما الاختلاف في الكيفية؛ فإن صلاة اليهود واقعة على كيفية وصلاة المسلمين على كيفية أخرى، وإذا كان متعلَّق الأمر هو الماهية التي هي القدر المشترك زال الإشكال المذكور، وعلى هذا نقول: إنه تعالى لما أمرهم بالإيمان وبترك الإضلال وبالتزام الشرائع وهي الصلاة والزكاة، وكان ذلك شاقًا عليهم لما فيه من ترك الرياسات والإعراض عن المال والجاه لا جرم عالج الله تعالى هذا المرض، فقال: (واستعينوا بالصبر والصلاة)"[143].

وبذلك يكون الرّازي قد استعان في تفسيره لهذه الآية بمعطيات السياق الثقافي للمخاطَبين، وهو لا شك أحد مكونات السياق الحالي المقامي.

هـ. قوله –عز وجل–:

"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"[144]

ذكر الرّازي أن في (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) قولين للعلماء[145]:

الأول: أنها تتعلق بما قبلها في الآية، وانقسموا فريقين: مَن يرى أنها راجعة إلى تارك الحج اعتمادًا على بعض الأحاديث الواردة في ذلك مع أن بعضهم حاول تأويلها على التهديد دون الكفر[146]، ومَن يرى أنها راجعة إلى منكر الحج أو مَن لم يعتدَّ به.

الثاني: أنها كلام مستقل ووعيد عام في حق كل من كفر بالله ولا تعليق لها بما قبلها.

وذهب الرّازي إلى أنها كلام مستقل بنفسه ليس له تعلق بما قبله، ووعيد عام في حق كل من كفر بالله، يقوّي هذا الوجه ويعزّزه عنده معطيات السياق الحالي المقامي المتمثلة في الحديث الشريف وعلاقته بسبب النزول، فعن النبي –صلى الله عليه وسلم– في قول الله: (ومن كفر)، قال: ((من كفر بالله واليوم الآخر))[147]، ويُروَى أنه لما نزلت آية الحجّ، جَمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أهل الأديان كلَّهم، فقال: ((يا أيُّها الناس، قد فُرض عليكم الحج فحجوا))[148]، فآمنت به ملة واحدة، وهي من صدَّق النبي – صلى الله عليه وسلم– وآمن به، وكفرَت به خمس ملل، قالوا: لا نؤمن به، ولا نصلي إليه، ولا نستقبله، فأنزل الله قال –عز وجل–: (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)[149].

وتجدُر الإشارة إلى أن هذا الرأي يجعل لام التّعريف في (النّاس) من (والله على الناس حج البيت) للاستغراق على أن المقصود كل الناس مسلمين أو غير مسلمين.

يتبيَّن من ذلك أنَّ الرّازي قد زاوج بين السياقين (النصي المقالي والحالي المقامي) عند توضيح مَن كفر بالله تعالى.

الخاتمة

تناول هذا البحث معيار السياق النصي (المقالي) والحالي (المقامي)؛ حيث حاول الرّازي توظيفهما لخدمة تفسير المفردات والتراكيب القرآنية، وصولًا إلى إثبات اتساق النص في ذاته لغويًّا وتوافقه مع معطيات السياق الحالي.

في المبحث الأول تناوَلَ البحث السياق النصي (المقالي)، وأثبتت أن الرّازي حاول أن يوضح بعض المفردات والتراكيب من خلال السياق اللفظي النصي المقالي المتقدِّم أو المتأخر أو من خلال السياق القرآني العام أو سياق السورة، كما لعبت معرفة المتلقي بالنظام اللغوي دورًا في ذلك من حيث بيان دور الحذف والتقدير والتقديم والتأخير بوصفهما من السياق اللغوي في اتساق النصّ القرآني.

وفي المبحث الثاني تناوَلَ البحث السياق الحالي (المقامي)، وفيه تم الحديث عن محاولات الرّازي تفسير مفردات القرآن الكريم وتراكيبه من خلال السياق الحالي الخارجي المتمثل في كل ما يحيط بالكلام من عناصر موقفية ومؤثرات لغوية وثقافية واجتماعية؛ فقد راعى دوافع المتكلم وحال المخاطب ودور الزمان في تفسير النص القرآني بوصفها جميعا من أهم عناصر السياق الحالي المقامي، ولم ينس مراعاة ثقافة المخاطبين وما تمليه طريقتهم في الكلام عند تفسيره.

وفي نهاية هذا البحث، ينبغي التأكيد على أنَّ الرّازي حاول جاهدًا أن يطوِّع إمكانات النص القرآني لغويًّا أولًا، وإلَّا ذهب إلى سياق المقام، حتى إذا وجد الوجهين انتهز تلك الفرصة وأثبتهما جميعًا وكأنه يؤكد ما ذهب إليه بكل وجه ممكن من السياق.

وعمومًا، فإنّ هذا البحث قد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الرّازي كان نموذجًا راقيًا للمفسِّر الذي توافرت فيه شروط المفسر التي نص عليها الزركشي والسيوطي، والذي يوظف إمكاناته اللغوية والعلمية والثقافية لخدمة النص القرآني، ولا ننكر طبيعة ذلك في تلقينا للنص وتعاملنا مع المعطيات النصية وكيفية اعتمادنا عليها من حيث الأهمية أو الإهمال والإقصاء.

الهوامش

([1]) ينظر: العلاقات النصية في القرآن الكريم دراسة نحوية لجهود المفسرين، للدكتور مصطفى عبد أحمد العليم (بحث منشور بمجلة مستلة من حولية كلية اللغة العربية جامعة الأزهر – القاهرة – العدد 25)، ص 3.

([2]) ينظر في هذا المعنى: التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي– بيروت – 1420هـ: 5/ 253، 17/ 240، 26/ 446، 32/ 295.

([3]) ينظر: التفسير الكبير للرازي، 1/ 3.

([4]) ينظر: السابق: الصفحة نفسها.

([5]) ينظر: السابق: الصفحة نفسها.

([6]) ينظر: عيون الأنبار في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة المصري، طبعة الإقبال 1957م، 3/ 34–35.

([7]) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو ملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1409هـ، 3/ 55.

([8]) سورة الأنعام: 59.

([9]) ينظر: التفسير الكبير للرازي: 13/ 10.

([10]) ينظر: لسان العرب: مادة (س.و.ق)، وكشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، تحقيق: لطفي عبدالبديع، الهيئة المصرية العامة، د.ت، 4/ 27.

([11]) سورة الأعراف: 57، وكذلك: "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ" [فاطر: 9]، "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا" [السجدة: 27]، "لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا" [مريم: 87]، "وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا" [الزمر: 71]، و"يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ" [الأنفال: 6]، "وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ" [ق: 21]

([12]) المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ت، مادة (س.و.ق).

([13]) قرينة السياق، تمام حسان، بحث قم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، القاهرة، 1993م، ص375.

([14]) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: 1.

([15]) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق، دار الشؤون العامة، بغداد، ط1، 1987م، ص242، وينظر: ندوة البحث اللساني، عبدالرحمن طه، سلسلة ندوات ومناظرات، منشورات كلية الآداب، الرباط، ص302.

([16]) البحث الدلالي عند الأصوليين، محمد يوسف حبلص، عالم الكتب، ط1، 1991م، ص28.

([17]) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988م، ص 189.

([18]) سورة المائدة: 38، وينظر: البحر المحيط: 3/ 484، والعلاقات النصية في القرآن الكريم: 18.

([19]) ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ضبط: أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، 4/ 9–10، والبرهان في علوم القرآن: 2/ 199.

([20]) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 22، والإتقان في علوم القرآن: 4/ 213–215.

([21]) ينظر: السياق ودلالته في توجيه المعنى، الباحث: فوزي إبراهيم عبدالرزاق، رسالة دكتوراه بكلية الآداب – جامعة بغداد، 1996م، ص28–30.

([22]) ينظر: تطور البحث الدلالي (دراسة في النقد البلاغي واللغوي)، محمد حسين الصغير، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1988م، ص 34، والدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش، دار السياب، لندن، ط1، 2007م، ص 94.

([23]) ينظر: نظرة في أثر اللغويين العرب في علم الدلالة، علي الحمد، بحث منشور في مجلة جامعة اليرموك، الأردن، ع(1)، 1984م، ص24.

([24]) ينظر: السابق: 31.

([25]) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: 97.

([26]) الكتاب: 2/ 130، ونصّ سيبويه: "يكون الآخِرُ لم يصل إليه علمّ وصل إلى الأوّل المُسَمّى".

([27]) الخصائص: 1/ 66.

([28]) ينظر: تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبدالجبار، دار النهضة الحديثة، بيروت، د.ت، ص 80، 87، 109.

([29]) دلائل الإعجاز: 92.

([30]) ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبدالمطلب، لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1994م، ص228–229، والسياق ودلالته في توجيه المعنى: 34–35.

([31]) ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، محمود السعران، دار المعارف، القاهرة، 1962م، ص 340–341، وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1988م، ص68.

([32]) اللغة، ج. فندريس، ترجمة: الدواخلي والقصاص، دار البيان، القاهرة، (د.ت)، ص228–231.

([33]) دور الكلمة في اللغة، ستيفان أولمان، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1975م، ص59.

([34]) اللغة والمعنى والسياق: 83.

([35]) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص 94.

([36]) ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة، رشيد العبيدي، مطبعة التعليم العالي، جامعة بغداد، 1988م، ص 25.

([37]) نظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرح، دار النهضة العربية 1966م، ص121، وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر: 69، وفقه اللغة العربية، كاصد الزيدي، دار الكتب، الموصل، 1987م، ص143.

([38]) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م، ص 233.

([39]) ينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: 116.

([40]) ينظر: الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي، كاصد الزيدي، مجلة آداب الرافدين بكلية الآداب – جامعة الموصل، ع (26)، 1995م، ص 114، وينظر: البرهان في علوم القرآن: 2/ 200، والإيضاح في علوم البلاغة: 289.

([41]) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2/ 215.

([42]) ينظر: الدلالة في البنية العربية: 120.

([43]) سورة الأعراف: 40.

([44]) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2/ 215.

([45]) ينظر: الدلالة في البنية العربية: 120.

([46]) ينظر: معاني القرآن، الفراء، عالم الكتب، بيروت، طلا، د.ت، 2/ 41، 46–47، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م، 1/ 132، 166، وأمالي المرتضى، المرتضى، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، القاهرة، 1954م، 2/ 504.

([47]) ينظر: علم اللغة، السعران: 338.

([48]) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 337.

([49]) ينظر: المرجع السابق: 337–339، ودراسة المعني عند الأصوليين، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1967م، ص213–271.

([50]) أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية، علي المنصوري، مطبعة الجامعة، بغداد، ط1، د.ت، ص106.

([51]) ينظر: العقل وفهم القرآن، الحارث المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1971م، ص 232، والاتجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، نصر أبو زيد، المركز الثقافي العربي، 2007م، ص 52–53.

([52]) ينظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني: 18، والاتجاه العقلي في التفسير: 57.

([53]) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبدالجبار الأسدآبادي، تحقيق: محمود محمد خضيري، وإبراهيم مدكور، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965م، 4/ 174–179، والاتجاه العقلي في التفسير: 59–60.

([54]) سورة البقرة: 286.

([55]) التفسير الكبير للرازي: 7/ 124.

([56]) نظرية السياق القرآني، عبدالفتاح محمود المثنى، دار وائل، عمان، ط1، 2008م، ص16.

([57]) معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مادة (س.و.ق).

([58]) ينظر: علم اللغة، السعران: 340–341، وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر: 68.

([59]) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفان أولمان: 55.

([60]) دلائل الإعجاز: 38–40.

([61]) البرهان في علوم القرآن: 2/ 200.

([62]) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: 107.

([63]) ينظر: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، عبدالوهاب أبو صفية، دار المكتبات والوثائق الوطنية، عمان، ط1، 1989م، ص 88.

([64]) ينظر مثلا: التفسير الكبير للرازي: 4/ 125، 5/ 286، 9/ 494، 12/ 384، 481، 535، 14/ 321، 15/ 422، 19/ 124، 25/ 31، 26/ 354، 26/ 274، 28/ 192، 29/ 350.

([65]) سورة الأعراف: 40.

([66]) التفسير الكبير للرازي: 14/ 241.

([67]) سورة البقرة: 23.

([68]) التفسير الكبير للرازي: 2/ 349.

([69]) سورة يونس: 38.

([70]) التفسير الكبير للرازي: 2/ 349.

([71]) السابق: الصفحة نفسها.

([72]) سورة فصلت: 44.

([73]) ينظر: التفسير الكبير للرازي: 27/ 569.

([74]) سورة فصلت: 5.

([75]) ينظر: التفسير الكبير للرازي: 27/ 569.

([76]) سورة هود: 17.

([77]) ينظر: التفسير الكبير للرازي: 17/ 329.

([78]) سورة البقرة: 217.

([79]) ينظر: التفسير الكبير للرازي: 6/ 389.

([80]) سورة البقرة: 60.

([81]) سورة الشعراء: 63.

([82]) ينظر: التفسير الكبير للرازي: 3/ 529، 24/ 507.

([83]) سورة الحجر: 72.

([84]) التفسير الكبير للرازي: 19/ 256.

([85]) سورة الكهف: 96.

([86]) التفسير الكبير للرازي: 21/ 500.

([87]) سورة النازعات: 1–7.

([88]) ينظر: التفسير الكبير للرازي: 31/ 33.

([89]) سورة البقرة: 6.

([90]) التفسير الكبير للرازي: 2/ 284.

([91]) سورة الجاثية: 21.

([92]) سورة البقرة: 7.

([93]) التفسير الكبير للرازي: 2/ 295.

([94]) سورة السجدة: 9.

([95]) التفسير الكبير للرازي: 25/ 142.

([96]) سورة المائدة: 70.

([97]) سورة الأحزاب: 26.

([98]) التفسير الكبير للرازي: 12/ 405.

([99]) التفسير الكبير للرازي: 25/ 164.

([100]) ينظر: دلالة السياق، ردة الله الطلحي، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ، ص 50–51.

([101]) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 337، 351، 352، والنحو والدلالة: 114–115، وعلم اللغة الاجتماعي عند العرب، هادي نهر، دار الغصون، بيروت، 1988م، ص188–189.

([102]) ينظر: من الوجهة الإحصائية في الدراسات الأسلوبية، صلاح فضل، مجلة فصول، مج(4)، ع(1)، 1983م، ص 130.

([103]) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 13.

([104]) مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص168.

([105]) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 337، 351، 352، والنحو والدلالة: 114–115، وعلم اللغة الاجتماعي عند العرب: 188–189.

([106]) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: 107.

([107]) ينظر: علم اللغة النصي بين النظريّة والتّطبيق 106.

([108]) أخرجه مسلم في (المساقاة)، باب: استحباب الوضع من الدين، حديث رقم (21).

([109]) الخطاب والقارئ: نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، حامد أبو أحمد، منشورات مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط2، 2003م، ص218.

([110]) ينظر: التفسير الكبير للرازي: 1/ 66، 2/ 360، 6/ 380، 9/ 434، 12/ 459، 13/ 113، 14/ 287، 17/ 338، 18/ 488، 499، 26/ 385، 31/ 17.

([111]) سورة البقرة: 199.

([112]) التفسير الكبير للرازي: 5/ 331.

([113]) سورة آل عمران: 173.

([114]) سورة المؤمنون: 50.

([115]) تفسير الطبري (تأويل آي القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000م، 4/ 184.

([116]) سورة آل عمران: 52.

([117]) هو مثل يضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدي إلى الكثير، وعن ابن الأعرابي أن الذَّوْد اسم مؤنث يقع على القليل من الإبل، ولا يقع على الكثير، وهو ما بين الثلاث إلى العشر إلى العشرين إلى الثلاثين، ولا يجاوز ذلك، ينظر: مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، د.ت، 1/ 277.

([118]) تفسير الطبري: 6/ 443 – 444.

([119]) سورة النساء: 2.

([120]) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، 2/ 399.

([121]) المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، 4/ 260.

([122]) هناك تأويلات أخرى ذكرها الرّازي، ينظر: التفسير الكبير للرازي: 8/ 233–234.

([123]) سورة الأعراف: 78–79.

([124]) ينظر: تفسير الطبري: 12/ 546–547.

([125]) ينظر: الكشاف: 2/ 118، والبحر المحيط: 4/ 335.

([126]) ينظر: الكشاف: 2/ 118.

([127]) ينظر: المحرر الوجيز: 2/ 491.

([128]) صحيح البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الطيب للجمعة، حديث رقم (1370)، وينظر: التفسير الكبير للرازي: 14/ 309.

([129]) سورة البقرة: 58.

([130]) سورة الأعراف: 161.

([131]) التفسير الكبير للرازي: 3/ 526، 15/ 389–390.

([132]) سورة الأنعام: 119.

([133]) سورة المائدة: 3، وينظر: تفسير الطبري: 12/ 69، والكشاف: 2/ 57.

([134]) سورة الأنعام: 145.

([135]) التفسير الكبير للرازي: 13/ 129.

([136]) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: إبراهيم إطفيش وآخرين، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952م، 7/ 73.

([137]) سورة آل عمران: 97.

([138]) ينظر: البحر المحيط: 3/ 14.

([139]) التفسير الكبير للرازي: 8/ 304.

([140]) ينظر: البحر المحيط: 3/ 14.

([141]) سورة البقرة: 45.

([142]) التفسير الكبير للرازي: 3/ 489.

([143]) التفسير الكبير للرازي: 3/ 489–490.

([144]) سورة آل عمران: 96–97.

([145]) ينظر: التفسير الكبير للرازي: 8/ 305، وتفسير الطبري: 6/ 47، 51.

([146]) ينظر: مغني اللبيب: 902.

([147]) التفسير الكبير للرازي: 8/ 141–142.

([148]) السنن الكبرى، البيهقي: 4/ 325.

([149]) ينظر: تفسير الطبري: 6/ 48.

Sources and references

-Amali Al-Murtada, Al-Murtada, investigation by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Cairo, 1954 AD.
-Research and Texts in Philology, Rashid Al-Obaidi, Higher Education Press, University of Baghdad, 1988 AD.
- Abu Ali Al-Grammar and his efforts in linguistic and phonological studies, Ali Al-Mansouri, University Press, Baghdad, 1st ed., D.
-The Mental Tendency in Interpretation: A Study on the Case of Metaphors in the Qur'an by the Mu'tazila, Nasr Abu Zayd, The Arab Cultural Center.
-Equity in what must be believed and it is not permissible to ignore it, Al-Baqlani.
Clarification in the sciences of rhetoric
- The Semantic Research of the Fundamentalists, Muhammad Yusef Hablas, The World of Books, 1991 edition.
- Badaa`a al-interest, Ibn Qayyim al-Jawziya, seized by: Ahmad Abd al-Salam, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Edition 1, 1994 AD.
- The Beginning and the End, Ibn Katheer, edited by: Ahmad Abu Melhem, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Fifth Edition, 1409 AH.
- Evidence in the Sciences of the Qur'an: Al-Zarkashi, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Turath Library, d.
Qur'anic Rhetoric in Tafsir al-Zamakhshari and its Impact on Rhetorical Studies, Muhammad Abu Musa, Wahba Library, Cairo, 1988 AD.
Rhetoric and Stylistics, Muhammad Abd al-Muttalib, Lebanon Publishers, Beirut, Edition 1, 1994 AD.
-The Evolution of Semantic Research (A Study in Rhetorical and Linguistic Criticism), Muhammad Husayn al-Saghir, Al-Ani Press, Baghdad, 1st edition, 1988 AD.
- Interpretation of the Ocean Sea, Abu Hayyan Al-Andalusi, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, second edition, 1983 AD.
- Tafsir al-Tabari, named: Jami al-Bayan, on the interpretation of Ay al-Qur'an, al-Tabari, edited by: Ahmad Muhammad Shakir, The Resala Foundation, Beirut, Edition 1, 2000 AD.
- The Great Interpretation of Imam Al-Fakhr Al-Razi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 1420 AH.
- The Qur'an's Resignation to the Contest, Judge Abdul-Jabbar, Modern Renaissance House, Beirut, Dr.
- The Whole to the Rulings of the Qur'an, Al-Qurtubi, edited by: Ibrahim Tfayyesh and others, Dar Al-Kutub Al-Masrya, Cairo, 1952 AD.
Al-Characteristics, Ibn Jinni, edited by: Muhammad Ali al-Najjar, The World of Books, Beirut, Third Edition, 1403 AH.
- Discourse and the Reader: Theories of Receptivity, Discourse Analysis and Postmodernity, Hamed Abu Ahmed, Center for Arab Civilization Publications, Second Edition, 2000 AD.
The study of meaning for the fundamentalists, Taher Suleiman Hammouda, University House, Alexandria, 1967 AD.

- Dalayel Al-Mijaz, Al-Jarjani, edited by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Cairo, Dar Al-Madani, Jeddah, Third Edition, 1413 AH.
- The significance of the context, the apostasy of Allah Al-Talhi, Umm Al-Qura University Publications, Makkah Al-Mukarramah, First Edition, 1424 AH.
- Contextual connotation for linguists, Awatef Kanoush Al-Mustafa, Dar Al-Sayyab for printing, publishing and distribution, 2001 AD.
- Study of the Context, A Mamoun Methodology for Interpreting the Qur'an, Abd al-Wahhab Abu Safia, House of Libraries and National Archives, Amman, First Edition, 1989 AD.
- The role of the word in language, Esteban Ullmann, translated by: Kamal Bishr, Youth Library, Cairo, 1975 AD.
- Major Sunnahs
Sahih Al-Bukhari by Imam Al-Bukhari
- Mind and Understanding the Qur'an, Al-Harith Al-Mohasibi, edited by: Hussein Al-Quwatli, Dar Al-Fikr, Beirut, First Edition, 1971 AD.
Semantics, Ahmed Mukhtar Omar, The World of Books, Cairo 1988 AD.
- Linguistics (an introduction to the Arabic reader) Mahmoud Al-Sa`ran, Dar Al Maaref, Cairo 1962.
- Sociolinguistics among the Arabs, Hadi Nahr, Al-Mustansiriya Printing and Publishing, 1988 AD.
- Text language science between theory and practice, Dr. Azza Shebel, Literature Library, Cairo, second edition, 2009 AD.
- Uyun al-Anbaa fi Tabaqat al-Taba`ib by Ibn Abi Usaiba al-Masri, Al-Iqbal Press, 1957 CE.
Context, Tamam Hassan, Abeer Book Printing Press, Cairo, 1993 AD.
- The book, Sebawayh, edited by: Abd al-Salam Haroun, The Egyptian General Book Authority, first edition, 1977 AD.
-Disclosure of the facts of the mysteries of revelation and the eyes of gossip in the faces of interpretation by Imam al-Zamakhshari, Al-Rayyan House for Heritage, Cairo, third edition, 1987 AD.
- Scouts of Art Terminology, by Tahanawi, edited by: Lotfi Abdel Badi, the Egyptian General Authority, d
-- Language, J. Fenderes, translation: Al-Dakhli and Al-Qasas, Dar Al-Bayan, Cairo, (dt).
- The Arabic Language, Its Meaning and Its Structure, Tamam Hassan, The Book World Press, 5th Edition, 2006 AD.
Language, Meaning and Context, John Lines, Arabization: Abbas Sadiq Abdul-Wahhab, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1st Edition, 1987
- Complex of Proverbs, Al-Midani, investigation by: Muhammad Muhyiddin Abdel-Hamid, Dar Al-Marefa, Beirut, (dt).
- The brief editor on the interpretation of the dear book, Ibn Attiyah, edited by: Abd al-Salam Abd al-Shafi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st Edition, 1993.
- Al-Mustadrak Ali Al-Sahihin, Al-Nisaburi,
Edited by: Mustafa Abdel-Qader Atta, Dar Al-Kotob Al-Alami, Beirut, 1st Edition, 1990
-Linguistic Dictionaries in the Light of Modern Linguistics Studies, Muhammad Ahmad Abu Al-Farag, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, 1966 AD.
- The meanings of the Qur'an, Fur, investigation:
Ibrahim Shams El-Din, The World of Books, 1st Edition, (dt).

- The meanings of the Qur'an and its Arabic words, the glass, edited by: Abdul Jalil Shalabi, The World of Books, Beirut, 1st Edition, 1988 AD.
Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Magdy Wahba and Kamel Al-Muhandis, Lebanon Library, Beirut, 2nd Edition, 1984 AD.
- The Intermediate Dictionary, Publications of the Arabic Language Academy, Cairo, (d.
- Al-Mughni in the gates of monotheism and justice, Judge Abdel-Jabbar, Al-Asad Abadi, investigation by: Mahmoud Muhammad Khudairi and Ibrahim Madkour, The Egyptian House for Authorship and Translation, Cairo, 1965.
- Mughni Al-Labib on the books of Al-A'arib, Ibn Hisham Al-Ansari, edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul-Hamid, Muhammad Ali Subaih and Sons Library and Press.
- The key to science, Sakaky, investigation:
Naeem Zarzour, House of Scientific Books, Beirut, 1st Edition, 1983 AD.
From a statistical point of view in stylistic studies, Salah Fadl, Fosoul Magazine, Volume 4, Issue 1, 1983 AD.
-Research Methods in Language, Tamam Hassan, The Anglo-Egyptian Library, Cairo, 1990.
- Methodology of Linguistic Research between Heritage and Modern Linguistics, Ali Zwain, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1986 AD.
-Grammar and Significance: An Introduction to the Study of Grammatical Meaning - The Semantic Dr. Muhammad Hamsa Abd al-Latif, Dar Al-Shorouk, 1st Edition, 2000 AD.
- A seminar on linguistic research, Abd al-Rahman Taha, a series of seminars and discussions, publications of the Faculty of Literature, Rabat.
- The Theory of the Qur'anic Context, Abd Al-Fattah Muhammad Al-Muthanna, Wael House, Amman, 1st Edition, 2008 AD.
Messages and theses
- Context and its Significance in Directing Meaning, Researcher: Fawzi Ibrahim Abdul-Razzaq, PhD Thesis, College of Arts, University of Baghdad, 1996.
Research
- The significance of the Arab structure between the verbal context and the current context, such as Saed Al-Zaidi, a research published in Al-Rafidain Literature Journal, College of Arts, University of Mosul, No. 36, 1995.
- Textual relations in the Noble Qur'an, a grammatical study of the efforts of the commentators, Dr. Mustafa Abd Ahmad Al-Alim (research. Published in a magazine extracted from the Yearbook of the Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Cairo) Issue 25.
- Context context, Tamam Hassan, a paper published on the occasion of (The Memorial Book to Celebrate the Centennial Day of the Faculty of Dar Al Uloom) Abeer Book Press, Cairo, 1993 AD.
- A look at the impact of Arab linguists on semantics, Ali Al-Hamad, a research published in Yarmouk University Journal, Jordan No. 1, 1984 AD.

.-